والاوثان فالله سبحانه هو المالك لكل شيء يتصرف كيف يشاء على عبيده سرا وجهرا وليلا ونهارا دائمة ملازمة لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار والاوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء فكيف تجعلوها شركاء لي وتعبدوها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين هذا قول مجاهد وغيره وقال ابن عباس هو مثل ضربه للمؤمن والكافر ومثل المؤمن في الخير الذي عنده ممن رزقه منه رزقا حسنا فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرا وجهرا والكافر بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقدر على شيء لانه لا خير عنده فهل يستوي الرجلان عند احد من العقلاء والقول الاول اشبه بالمراد فانه اظهر في بطلان الشرك واوضح عند المخاطب واعظم في اقامة الحجة وافرب نسبا بقوله ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ثم قال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا ومن لوازم هذا المثل واحكامه ان يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقا حسنا والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء فهذا مما نبه عليه المثل واشار اليه فذكره ابن عباس منبها على ارادته لا ان الاية اختصت به فتامله فانك تجد كثيرا في كلام ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن فيظن الظان ان ذلك هو معنى الاية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله فصل واما المثل الثاني فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبد من دونه ايضا فالصنم الذي يعبد من دونه بمنزلة رجل ابكم لا يعقل ولا ينطق بل هو ابلم القلب واللسان قد عدم النطق القلبي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة ومع هذا فانهما ارسلته لا ياتيك بخير ولا يقضي لك حاجة والله تعالى حي قادر متكلم يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد فان من يامر بالعدل وهو الحق يتضمن انه سبحانه عالم به معلم له راض به امر العباد به

محب لاهله لا يامر بسواه بل تنزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل بل امره وشرعه عدل كله واهل العدل هم اولياؤه واحباؤه وهم المجاورون له عن يمينه على منابر من نور وامره بالعدل يتناول الامر الشرعي الديني والامر القدري الكوني فكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما كما في الحديث الصحيح اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك عدل في قضاؤك فقضاؤه هو امره الكوني فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فلا يامر الا بحق وعدل وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل وان دار في المقضي المقدر ما هو جور وظلم فالقضاء غير المقضي والقدر غير المقدر ثم اخبر انه سبحانه على صراط مستقيم وهذا نظير قول رسوله شعيب اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها نظير قوله ناصيتي بيدك وقوله ان ربي على صراط مستقيم نظير قوله عدل في قضاؤك فالاول ملكه والثاني حمده وهو سبحانه له الملك وله الحمد وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي انه لا يقول الا الحق ولا يامر الا بالعدل ولا يفعل الا ما هو مصلحة ورحمة وحكمة وعدل فهو على الحق في اقواله وافعاله فلا يقضي على العبد ما يكون ظالما له به ولا ياخذ بغير ذنب ولا ينقصه من حسناته شيئا ولا يحمل عليه من سيئات غيره التي لم يعملها ولم تتسبب اليها شيئا ولا يواخذ احدا بذنب غيره ولا يفعل قط ما لا يحمد عليه ويثنى به عليه ويكون له فيه العواقب الحميدة والغايات المطلوبة فان كونه على صراط مستقيم يقتضي ان ربي على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه باحسانه والمسيء باسائته لا يظلم احدا منهم شيئا ولا يقبل منهم الا الاسلام له والايمان به وقد حكى عن مجاهد من طريق شبل عن ابن ابي نجيح عنه ان ربي على صراط مستقيم قال الحق وكذلك رواه ابن ابي حاتم عنه وقالت فرقة هي مثل قوله ان ربك لبالمرصاد وهذا اختلاف عبارة فان كونه بالمرصاد وهو مجازاة المحسن باحسانه

Copyright © King Saud University